الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية بالاشتراك
مع مركز إقبال للدراسات الإسلامية بجامعة ليدز
ومركز التراث الإسلامي البريطاني في مانشيستر

بناء الإنسان كما ورد في سورة لقمان

إعداد

د. زينب سعيد داود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة

بحث مقدم إلى

المؤتمر العالمي السادس للدراسات القرآنية وتدبر القرآن الكريم في أوروبا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي خلق الخلق ولم يتركهم هملا، بل يسر لهم ما يرفع قدرهم، فأنزل عليهم نورًا مبينا ليكون به هداهم، وجعله لهم دليلًا ينشدونه في سبيلهم إلى البناء والكمال الإنساني، وذلك متى اتبعوه وساروا على نهجه المستبين، متابعين في ذلك خير الخلق وأزكى البشرية أجمعين محمد بن عبد الله، صاحب الهدى المبين، والخلق العظيم.

علاقة البحث بمحاور المؤتمر :

لقد جعل الله تعالى القرآن الكريم هداية للبشرية، بما أودع فيه من أسرار البناء والكمال الإنساني، والرفعة في الدنيا والآخرة، وذلك بما تحمله آياته العظيمة من منهج رباني متكامل، يكفل البناء للإنسان، وجاءت سورة لقمان تحمل جزءًا من هذا البناء، لما في آياتها من حكم عظيمة ووصايا جليلة، كانت السبيل إلى بناء الشَّخصية المسلمة السويَّة، وانطلاقًا من هذا الأساس جاءت فكرة هذا البحث، الذي هو بعنوان (بناء الإنسان كما ورد في سورة لقمان)، والذي سيتناول بناء الإنسان من خلال هذه السورة.

أهمية البحث :

لقد خلق الله تعالى الخلق، واستخلفهم في الأرض، قال تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ﴾(١)، وكما جاء في الحديث عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)(٢)، جعل لهم لأجل مهمة الاستخلاف ما يعينهم، للقيام بها حق القيام، فأنزل هذا الكتاب العظيم نورًا يبنيهم البناء الصحيح، وجعل من بين سوره سورة لقمان، التي تحمل منهجًا متكاملًا في بناء الإنسان، لما حوته آياتها من توجيهات عظيمة تدعو إلى تنقية الباطن والظاهر، وتحليتهما بما يبنيها البناء القيمي المتكامل ظاهرًا وباطنًا، وتتجلى أهمية البحث في التالي:

١- معرفة الجوانب المهمة التي يجب مراعاتها للوصول إلى الشخصية المسلمة المتكاملة كما جاءت في سورة لقمان.
٢- الوقوف على الوسائل الصحيحة لبناء الإنسان للوصول إلى بناء قيمي للشخصية الإنسانية من خلال وصايا لقمان، وبيان التوجيه البنائي الصحيح للمربي خلال وظيفته التربوية.
٣- الثبات القيمي للشخصية الإنسانية في سورة لقمان.

مشكلة البحث : بيان ما هو منهج القرآن الكريم في بناء الإنسان من خلال سورة لقمان.

تساؤلات البحث: إن هذا البحث سيجيب بإذن الله تعالى على التساؤلات التالية :

- ما هي جوانب الشخصية المسلمة المتكاملة في سورة لقمان.
- ما هي الوسائل الصحيحة لبناء الإنسان للوصول إلى بناء القيم الشخصية الإنسانية المتكاملة.
- ما هو التوجيه البنائي الصحيح للمربي خلال وظيفته التربوية.
- ما هي الأمور المعينة على الثبات على القيم.

أهداف البحث :

١- توضيح الجوانب المهمة التي يجب مراعاتها في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة من خلال استعراض الآيات في سورة لقمان.
٢- استعراض الآيات التي تناولت وسائل بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة مع وقفات تفسيرية تدبرية.
٣- بيان المنهج التربوي الذي يجب على المربي أن يتحلى به لأجل البناء القيمي من خلال وصايا لقمان.
٤- بيان المعينات على الثبات القيمي كما جاءت في السورة.

منهج البحث : يخضع البحث لمنهجين :

١- المنهج الاستقرائي : وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها بناء الإنسان بذكرها مجملة حسب ترتيبها في السورة، وتفسيرها تفسيرا إجمالياً من كتب التفسير المعتبرة.

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٩.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة فقراء .. ح (٢٧٣٦) ١٦٦٦/٤.

٢- المنهج التحليلي : ويتمثل في دراسة الآيات القرآنية من سورة لقمان، وإبراز الجوانب التي يظهر فيها بناء الإنسان، وذلك فيما يتعلق بالمربي والمتربي أو المعلم والمتعلم.

المنهج المتبع في كتابة في هذا البحث :

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني مع عزوها إلى سورها وأرقام الآيات.

٢- تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، فإن كان الحيث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذكر أحدهما، أما إذا كان الحديث في غيرهما فإني أخرجه من كتب السنة الأخرى، وأذكر حكم أهل الحديث فيه صحةً وضعفاً، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٣- اعتمدت في تفسير الآيات على كتب التفسير بالمأثور وكتب التفسير بالرأي المحمود وكذلك كتب التفسير الحديثة التي عنيت بالتفسير الإجمالي.

٤- لإبراز جوانب بناء الإنسان من الناحية الدينية التربوية اعتمدت على كتب التفسير والكتب التربوية التي عنيت بهذه الجوانب، بالإضافة إلى المقالات والأبحاث في هذا المجال.

٥- أخّرتُ ذكر معلومات المصدر كاملة إلى فهرس المصادر والمراجع.

٦- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث طلباً للاختصار.

٧- بيان غريب الألفاظ.

٨- وضع ثبت المصادر والمراجع في نهاية البحث مرتباً حسب ترتيب المعجم.

هيكل البحث : يشتمل البحث على فصلين وخاتمة، على النحو التالي:

الفصل الأول: جوانب بناء الشخصية المسلمة في سورة لقمان، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وقفات تعريفية بسورة لقمان.

المبحث الثاني: وقفات تفسيرية تدبرية مع الآيات التي تناولت جوانب بناء الإنسان.

الفصل الثاني: وسائل بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة، وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: وقفات تفسيرية تدبرية مع الآيات التي تناولت وسائل البناء الإنساني.

المبحث الثاني: توجيهات للمربي في وظيفته التربوية البنائية من خلال وصايا لقمان.

المبحث الثالث: معينات الثبات القيمي في سورة لقمان.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي سأتوصل إليها من خلال الكتابة في هذا البحث.

* **التوصيات**. * **قائمة المصادر**. * **المحتويات**.

الفصل الأول

جوانب بناء الشخصية المسلمة في سورة لقمان وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وقفات تعريفية بسورة لقمان.

الوقفة الأولى: حكمها من حيث كونها مكية أم مدنيه.

١-روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " أنزلت سورة لقمان بمكة"(١).

٢-وفي رواية أخرى عنه ﷺ قال: "سورة لقمان نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾(٢) إلى تمام الآيات الثلاث(٣). وعن قتادة إلا آيتين(٤) وهي مكية كلها عند ابن عباس رضي الله عنهما في أشهر قولية وعليه إطلاق المفسرين(٥).

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما ٥٠٣/٦.
(٢) سورة لقمان آية رقم ٢٧.
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى النحاس في تاريخه ٥٠٣/٦.
(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط وعزاه إلى قتادة ١٧٨/٧.
(٥) انظر: تفسير التحرير والتنوير ١٣٧/١٢.

الوقفة الثانية: عدد آياتها وسبب تسميتها وسبب نزولها:

ورد في كتب التفسير أنّ عدد آيات سورة لقمان أربع وثلاثون آية[١] وقيل ثلاث وثلاثون آية[٢]، أما سبب تسمية السورة بهذا الاسم فلأنها اشتملت على ذكر قصة لقمان الحكيم التي تضمنت أمور عظيمة في وصاياه لابنه وبناء لجانب التوحيد والعبادات والأخلاق.[٣] وليس لهذه السورة اسم غير هذا الاسم وبه عُرفت بين القرّاء والمفسرين.[٤]

وورد في سبب نزول سورة لقمان "أنّ قريشًا سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن برّ والديه فنزلت"[٥].

الوقفة الثالثة: موضوع السورة، تضمنت سورة لقمان موضوعات عديدة ومنها:

١- إثبات الحكمة للقرآن الكريم، وأنه سبيل للهداية والرحمة للمحسنين المؤدون ما افترض الله تعالى عليهم.

٢- إثبات أهم قضية في الكون وذلك بمخاطبة المشركين عن طريق المحسوس من حولهم.

٣- ذكر قصة لقمان ووصاياه لابنه، وبناء الإنسان في الجانب الإيماني والأخلاقي.

٤- ذكر انحراف المشركين عن التوحيد، وتقليدهم لما ألفَوْ عليه آباءهم.

٥- بيان سعة علم الله تعالى، وإحاطته بجميع الكائنات ظاهرها وباطنها[٦].

الوقفة الرابعة: مناسبة سورة لقمان بما قبلها وصلتها بها:

إن لسورة لقمان ارتباطاً كبيراً بالسورة التي قبلها -وهي سورة الروم- من جوانب عديدة، ومن اهتم هذه الجوانب التي ارتبطت السورتين بهما ما يلي:

١- أشار الله تعالى في آخر سورة الروم إلى القرآن الكريم وكونه معجزة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[٧] وأشار في مطلع سورة لقمان إلى ذلك أيضاً، بإثبات الحكمة للقرآن الكريم، وأنه كتاب هداية وإرشاد ورحمة للمحسنين، قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

٢- وصف الله سبحانه وتعالى في كلٍّ من السورتين قدرته على الخلق والبعث، فالقادر على الخلق قادر على البعث والإعادة، فقال في سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٩] وقال في سورة لقمان: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[١٠] ففي الآيتين دلالة على سهولة البعث على الله تعالى، فالذي خلق الخلق الأول قادر على إعادته مرة أخرى، ووصف المؤمنين في كلتا السورتين بالإيمان بالبعث واليوم الآخر.

٣- ذكر الله تعالى وتبارك في السورتين حال المشركين وما هم عليه من القلق والاضطراب، إذا يلجأون ويتضرعون إليه سبحانه وتعالى وقت الشّدة، ويكفرون وقت الرخاء، فقال تعالى في سورة الروم: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[١١] وذكر في سورة لقمان موقفًا آخر لهم في حال الشدة والرخاء عندما يكونون في عُرض البحر تتلاطم بهم الأمواج، فإنهم يلجأون إلى الله سبحانه وتعالى لفكّ وتفريج كربتهم و شدتهم، قال تعالى:﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١٢] فذكر سبحانه وتعالى في كل من الآيتين قسماً لم يذكره في الآخر[١٣].

---

(١) انظر: فتح القدير ٣٠٧/٤.
(٢) انظر: الاتقان في علوم القرآن ٢٣٧/١.
(٣) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٤٠/٣، تفسير أبي السعود ٦٧/٧.
(٤) انظر: التحرير والتنوير ١٣٨/٢.
(٥) انظر: البحر المحيط ١٧٨/٧، روح المعاني ٩٩/٢٢.
(٦) انظر: تفسير المراغي ١٠١/٢١، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٤٢/٢١.
(٧) سورة الروم آية، :٥٨.
(٨) سورة لقمان آية:٣-٢.
(٩) سورة الروم آية: ٢٧.
(١٠) سورة لقمان آية: ٢٨.
(١١) سورة الروم آية: ٣٣.
(١٢) سورة لقمان آية: ٣٢.
(١٣) انظر: تفسير المراغي ٧٢/٢١ وما بعدها، التفسير المنير ١٣٤/٢١ وما بعدها.

الوقفة الخامسة: هدف السورة

إنّ الهدف من سورة لقمان هو الأمر باتّباع حكمة الله تعالى، وبيان أن القرآن الكريم هو الحكمة الحق التي يجب اتباعها، لما اشتمل عليه من الهدى والرحمة، وأن ما سواه باطل، وإثبات الحكمة للقرآن الكريم يستلزم منها كمال حكمة منزله سبحانه وتعالى في أقواله، وقد تكرر ذكر الحكمة في السورة أربع مرّات(١).

المبحث الثاني:

وقفات تفسيرية تدبرية مع الآيات التي تناولت جوانب بناء الإنسان.

إنّ سورة لقمان مليئة بالجوانب التدبرية بصفة عامة، إضافةً إلى تلك التي تتعلق ببناء الإنسان على الوجه الأكمل، والذي يُرتقى به إلى درجات الكمال الإنساني الذي يقوده إلى عباده المولي عزّ وجلّ على الوجه الأكمل والأمثل، ويمكن أن نقسم الوقفات التفسيرية التدبرية في هذه السورة إلى ثلاث وقفات، والتي يظهر من خلالها بناء القرآن الكريم لجوانب متعددة لحياة الإنسان.

الوقفة التدبرية الأولى: من آية (١-١١)

من قوله تعالى :﴿الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝﴾ إلى قوله تعالى :﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

إن أهم قضية تناولتها السورة هي قضية التوحيد، عرضت الآيات في بداية السورة لهذه القضية بطريقة تستدعي التدبر، لإدراك الأسلوب القرآني العجيب في مخاطبة الفِطر والقلوب، وكل داع إلى الله تعالى في حاجة إلى تدبر هذا الأسلوب.(٣)

ابتدأت السورة بإثبات حكمة القرآن الكريم، وأنّه كتاب هداية ورشاد للناس لكل ما فيه خيرهم وفلاحهم، وهذا القرآن الذي وصفه الله تعالى بالحكمة يستلزم الإيمان بأن الله تعالى متصفاً بالحكمة، لأنه كلام رب العالمين العزيز الحكيم، والمتبعين لهذا الكتاب الحكيم هم أهل الإحسان بأعمالهم الصالحة الموحدين لله تعالى.،

وفي المقابل يذكر الله سبحانه وتعالى صنفاً آخر من الناس المعرضين عن آيات القرآن الحكيم مستبدلين به لهو الحديث، قال تعالى :﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٤) ففي الآيات تشنيع لما يدعو إليه أمثال هؤلاء من اللهو بالغناء أو بأخبار الملوك التي لا تكسب صاحبها كمالاً ولا حكمة(٥).

وقد توعد الله تعالى أمثال هؤلاء الناس المعرضين عن حكمة القرآن بالعذاب المصحوب بالذلة والمهانة.

وفي المقابل يبشر المستمعين العاملين بحكمة القرآن بالجنات النعيم، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾(٦) ثم تنتقل الآيات إلى ذكر مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى، وفي هذا الجانب لفت النّظر إلى تأمّل الكون من حولنا، وما فيه من مخلوقات تدل على صانعها الحكيم سبحانه و تعالى، وفي هذه الآيات بناء للعقيدة الصحيحة للإنسان من خلال مخاطبة بصره ووجدانه؛ للإقرار بأن صانع هذا الكون إله واحد، وهو المستحق للعبادة، فإذا رسخ في البناء النفسي للإنسان التأمّل البصر فيما حوله فإنه سيقر بالتوحيد، ويعترف بوحدانية الله تعالى، ولا ينصرف عن هذا الإقرار إلا مكابر معاند تمسك بدين الآباء و الأجداد على غير هدىً ولا بصيرة ولا حكمة، ولم يمنعهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى سوى الضلال والحيرة، والجهل، ودواؤهم هو العلم والإيمان، ليصلوا إلى الكمال الإنساني، فينالوا السعادة فضلاً من الله تعالى ورحمة(٧).

الوقفة التفسيرية التدبرية الثانية : من آية ١٢-٢١

من قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٨).

---

(١) أهداف ومقاصد سورة لقمان: د. محمد الخضيري، موقع زاد https:llwwwzaaquran.om
(٢) سورة لقمان آية:١ -١١.
(٣) انظر: في ظلال القرآن ٢٧٨٠/٥.
(٤) سورة لقمان آية: ٦.
(٥) انظر: التحرير والتنوير ١٤١/٢١.
(٦) سورة لقمان آية:٨ .
(٧) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٥٠٨/٣.
(٨) سورة لقمان آية ١٢-٢١.

تشير الآيات إلى بطلان الشرك مقول على لسان أولي الحكمة، كيف لا والتوحيد أساس الحكمة[١] وقد أجرى الله تعالى الحكمة على يد العبد الصالح لقمان الحكيم عليه السلام، وقد وُصِفَ بها بعد الحديث عن القرآن الكريم ووصفه بالحكمة، وفي ذلك إشارة إلى أن من أخذ القرآن الكريم قولاً وعملاً فإنه يؤتي الحكمة كما أوتيها لقمان، ومن الحكمة شكر الله سبحانه وتعالى؛ حيث أوصى لقمان عليه السلام ابنه بتوحيد الله سبحانه وتعالى، وأن الشرك ظلم، وبالغ في وصف الشرك بأنه عظيم، وإذا تأملنا الآيات تدبراً نجد أنّ وصايا لقمان جاءت في هذه الآيات أنموذجاً على الحكمة مشتملة على أوامر ونواه تُعلّم الإنسان الإحسان، حيث إنّ إدخال الوصية بالوالدين، والأمر باتبّاع سبيل المؤمنين بين هذه الأوامر والنواهي يؤكد هذا المعنى.

كما أنّ للعبادة، والإحسان إلى الوالدين وإن كانا كافرين، والأمر بالصلاة التي هي عماد الدّين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من الأوامر والنواهي، كل هذه الآداب تدخل في الإحسان وهي من الحكمة والهداية[٢].

الوقفة التفسيرية التدبرية الثالثة: (٢٢-٣٤)

من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[٣].

وفي هذا المقطع عادت الآيات إلى ذكر التوحيد، والأدلة الناطقة به، وهي نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة، ويبين سبحانه وتعالى ضرورة الاهتداء بكتاب الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال لفت الأنظار إلى نعم الله عزّو جلّ التي تقتضي شكره وتوحيده والإيمان بكتاب الله تعالى واتباع منهجه، ثم تختم السورة بالدعوة إلى تقوى الله تعالى، وعدم الاغترار والانجراف وراء هذه الحياة وما فيها من الشهوات والملذات، ثم يقرر سبحانه وتعالى أنّ الله تعالى وحده هو الذي يعلم مفاتح الغيب، وهذا يقتضي الاستسلام والإيمان بالله وحده دون سواه، والعمل بشرعه واتباع منهج نبيه محمدﷺ[٤].

الفصل الثاني
وسائل بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة

المبحث الأول: وقفات تفسيرية تدبرية مع الآيات التي تناولت وسائل البناء الإنساني.

لقد اشتملت سورة لقمان على عدّة وسائل لبناء الإنسان الذي ترتقي به إلى درجة الكمال الإنساني في جوانب متعددة، وهذه الوسائل على النحو التالي:

الوسيلة الأولى: بناء العقيدة في الإنسان من خلال التأمل في الآيات الكونية.

إنّ التوّحيد من أهم القضايا التي جاءت بها دعوة الرسل عليهم الصّلاة السّلام، وهي إفراد الله تعالى بالعبودية، وهي العقيدة التي جاهد من أجلها الرسل لإعلاء كلمة الله تعالى: قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٥].

وإن بناء العقيدة في النفس البشرية هو الطريق الصحيح الذي فطر الله تعالى عليه العباد قال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[٦] وقال عليه الصلاة والسلام: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرنه أو يمجسانه"[٧] فإذا انحرفت الفطرة عن الطريق الحق لابد من إرشادها إلى الطريق الصحيح ومن الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم لبناء العقيدة في الإنسان ودعوته إلى الفطرة السّوية التأمل في الآيات الكونية، وهذه الوسيلة التي يستخدمها القرآن الكريم فيها دعوة الكافرين إلى ترك شركهم في عبادتهم لغير الله تعالى، فيلفت

---

(١) انظر: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ١٣/١٩٥.
(٢) انظر: تأملات في سورة لقمان، مقال للدكتور: عبدالحي الفرماوي. http://thelibyanmohoob.montadarabi.com/t١٢٧-topic
(٣) سورة لقمان آية ٢٢-٣٤.
(٤) انظر: تأملات في سورة لقمان، مقال للدكتور، عبدالحي الفرماوي. http://thelibyanmohoob.montadarabi.com/t١٢٧-topic
(٥) سورة الأنبياء آية:٢٥.
(٦) سورة الروم آية:٣٠.
(٧) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة.. الخ، ح (٢٦٥٩)،٤/١٦٢٤.

أنظارهم إلى إبداع الله تعالى في خلق الكون علويه وسفليه، ظاهره وباطنه، فيخاطب فيهم الجانب الحسي والعقلي للرجوع بهم إلى الفطرة السليمة، وقد اشتملت سورة لقمان على عدّة آيات من تلك الآيات التي تخاطب الحِسَّ والوجدان؛ للإقرار بألوهية ووحدانية الله عزّ وجلّ، فجاء قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وقد اختلف المفسرون في وجود الأعمدة للسماء على قولين:

١- أنّها بعمد لا ترونها(٢). وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى كونها بعمد ولكن لا يراها الإنسان.

٢- أنها ليس لها عمد، يعني أن الله تعالى في خلقها بغير عمد(٣).

وهذا كذلك مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى، فكونها بعمد غير مرئية أو بغير عمد إطلاقًا كل ذلك دلالة القدرة والوحدانية، فالله سبحانه وتعالى يُلفت أنظار المشركين ليعيدهم إلى البناء العقدي الصحيح، بتأمل هذه السماوات السبع على عظمتها وسعتها وكثافتها وارتفاعها الهائل بغير أعمدة، ولو كان لها أعمدة لرؤيت وإنما استقرت بقدرة الله تعالى(٤).

وفي مقابل السماوات الأرض التي ألقى الله تعالى فيها الجبال الرواسي العظمية خلقها عزّ وجلّ يثبت بها الأرض لئلّا تضطرب بالخلق وتتحرك يَمْنَةً ويَسْرة، وجعل فوق هذه الأرض من كل أنواع الدّواب على الأرض، فأنزل لهم من السماء المطر، وأنبت به من كل أنواع النبات الذي ينفع الدواب الذي فرقه عزّ وجلّ على وجه الأرض.(٥)

وإنّ الدعوة إلى الله وتوحيده عن طريق التأمُّل في الكون لبناء العقيدة مما ينبغي على الدعاة إلى الله اللجوء إلى هذه الوسيلة في مخاطبة العقل والوجدان للنظر في صُنع الله تعالى، وهذا مجال خصب خاصة في بلاد الغرب التي منَّ الله تعالى عليهم بجمال الطبيعة الخلابة التي ينطق كل جزء منها بأنّ خالقها إله واحد ليس له شريك ولاندّ له- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وكم من عالم دخل إلى الإسلام لما ربط بين الآيات القرآنية وما توصل إليه العلم في العصر الحديث حينها أدرك أنه لا يمكن أن يكون هذا الكون وليد الصدفة، كما أنّه لا يمكن أن يكون لله تعالى شركاء -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً-.

الوسيلة الثانية: البناء الإنساني عن طريق الترغيب والترهيب.

سلك القرآن الكريم لبناء الإنسان والمجازاة على أعماله، وتقويم وتهذيب أخلاقه أسلوب الترغيب والترهيب، وذلك كثير في القرآن الكريم، فعندما يذكر سبحانه وتعالى المتقين الطائعين يعقب ذلك بذكر الثواب الذي أعده لهم، وهذا الثواب قد يكون دنيوياً وقد يكون أخروياً، وقد يكون للدارين، وسورة لقمان من السور التي جمعت بين هاتين الوسيلتين أو الطريقتين في تحفيز المسلم على فعل الخير، وتنفيره من الشر، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٦) سلك القرآن الكريم فيها مسلك الترغيب في الطمع فيما عند الله من الجنات بالإيمان والأعمال الصالحة، وفي موضع آخر سلك مسلك الترهيب والتخويف من عذاب الله سبحانه وتعالى لمن عصاه واقترف ما حرّم من اللّهو المحرم، والصد عن سبيل الله تعالى، وأعرض عن اتباع آيات الله عزّ وجلّ قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٧).

---

(١) سورة لقمان آية:١٠-١١.
(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٠٦/١٠. وهو قول ابن عباس، ومجاهد وعكرمة رحمهم الله تعالى.
(٣) المرجع السابق . وهو قول الحسن وقتادة رحمهم الله تعالى.
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي ١٠١/٤.
(٥) انظر: تفسيرالطبري٢٠٧/١٠، تيسير الكريم الرحمن ١٠٢/٤.
(٦) سورة لقمان آية:٨-٩.
(٧) سورة لقمان آية: ٦-٧

الوسيلة الثالثة: البناء الإنساني عن طريق الاكتشاف والملاحظة:

وقد استعمل القرآن الكريم طريقة الاكتشاف والملاحظة كوسيلة لبناء العقيدة، وحث الإنسان إلى الوصول إلى الحقائق والقوانين الكونية، وقد مرّ قريباً من هذ البناء، بناء العقيدة والتوحيد من خلال التأمل في الآيات الكونية، كخلق السموات بغير عمد مرئية، وتفريق ونشر الدواب على الأرض، ونزول الماء من السماء، وإنبات النبات بهذا الماء، ومنها ظاهرة تعاقب الليل والنهار قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)

وقد أمر الله تعالى عباده بالنظر والاكتشاف والملاحظة في كثير من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) ففي هذه الآيات دعوة إلى إثارة الحواس للنظر في ملكوت السماوات والأرض ليكون إيمان المرء مبنياً على أساسٍ قوى من الفكر والاقناع وإنّ النظر في ملكوت السماوات والأرض يهدي بقدرة الله تعالى الإنسان إلى الوقوف على ما تم التوصل إليه من علوم هدى الله تعالى إليها، وكلما وقف الإنسان على شيء ممّا تمّ التوصل إليه عن طريق الاكتشاف ازداد يقيناً بأن مُلك الله تعالى واسع لا يمكن للعقول أن تصل إلى حدوده وأبعاده(٣).

فهذه المخلوقات أَظْهَرُ وَأَيْسَرُ ملاحظةً وتدبراً، فقد أقام الله تعالى الإنسان خليفة في هذا الكون الرحب ومكنه من كل ما تَذْخُر به الأرض من كنوز، ومن هذه الكنوز ما هو ظاهر، ومنها ما هو مستتر، ومنها ما يعرفه الإنسان، ومنها ما لا يدرك إلا آثاره، وعلى الإنسان السير في هذه الحياة مستكشفاً، وملاحظاً ومتأملاً، ليرفع مستوى التوحيد والإيمان في نفسه، ويربّي على ذلك غيره من الأجيال.(٤)

الوسيلة الرابعة: البناء الإنساني عن طريق المناقشة والحوار.

إنّ هذه الوسيلة من وسائل البناء الإنساني قد وردت في كثير من الآيات القرآنية، وهي وسيلة تعتمد على الأسئلة والمناقشة، وتبادل الرأي لكي يصل الطرف الآخر، وهو المجادل إلى الحقائق عن طريق عرض الأدلة والبراهين(٥)، وقد ورد هذا النوع من الحوار والمناقشة في سورة لقمان في عدة مواضع من السورة لإبطال شرك المشركين كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٦)

وإن المناقشة والحوار من الوسائل التربوية المهمة التي تبني في الإنسان الجانب العقلي والمنطقي وتبادل الآراء وإقناع الطرف المجادل للوصول إلى الحقائق عن طريق الأدلة الشرعية، والعقلية بما لا يتعارض مع الشرع، وإنّ هذه الوسيلة من الوسائل المهمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى لا قناع المجادل والوصول به إلى الحقيقة، وعلى الدعاة والمصلحين الإسلاميين استغلالها خير استغلال في دعوة غير المسلمين في بلاد الغرب عن طريق المناقشة والحوار لإثبات الحقائق التي ينكرونها، وذلك بالأدلة والبراهين العقلية والكونية، إضافة إلى الأدلة الشرعية.

الوسيلة الخامسة: البناء الإنساني عن طريق الموعظة والنصيحة:

الموعظة: من الوعظ وهو زجرٌ مقترنٌ بتخويف. وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة(٧)

أما النصيحة أوالنصح: فهي تحري فعل أو قولٍ فيه صلاح صاحبه(٨)، والنهي عما فيه الفساد(٩).

---

(١) سورة لقمان آية:٢٩.
(٢) سورة يونس آية:١٠١.
(٣) مقال: بمجلة التوحيد/ https: www.alukah.het sharia، ١٠٢٩١٤
(٤) انظر: في ظلال القرآن، ٢٧٩٢/٥، أساليب التربية التوجيه في سورة لقمان ص ٢٦٧.
(٥) انظر: أساليب التربية والتوجيه في سورة لقمان، ص ٥٢٧.
(٦) سورة لقمان آية:٢٠-٢١.
(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٢٧.
(٨) انظر: معجم التعريفات ص ١٩٩.
(٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٩٤، لسان العرب ٦٢/٢، معجم التعريفات ص٢٠٣.

وقد وردت الموعظة والنصيحة في القرآن الكريم على لسان الرسل عليهم السلام، حيث كانوا يخلصون الوعظ والنصح لأقوامهم في الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبودية لله عزّ وجلّ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾(١) وتارة يأتي لفظ النصيحة بدلاً من الوعظ قال تعالى عن نصح صالح عليه السلام لقومه وعدم استجابتهم له : ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(٢).

إنّ استخدام الوعظ والنصيحة يُعدُّ من أنجح الوسائل لبناء النشء خاصة في مرحلة المراهقة أو الشباب، وأول من يعظ وينصح المرء بعد نفسه أهله قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾(٣)، وقال المصطفي ﷺ "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"(٤).

وقد سلك لقمان الحكيم مع ابنه مسلك الوعظ والنصح واعظاً إياه وناصحاً ومبيناً له أموراً هي غاية في الأهمية في حياته والتي تترتب عليها سعادته في الدارين، وقد أبرز القرآن الكريم حكمة لقمان في هذه المواعظ التي ساقها لابنه مبتدئاً بالأهم فالمهم، وهذه المواعظ والنصائح التي أوصى بها لقمان ابنه على النحو التالي:

الوصية الأولى: وصية التوحيد:

إنّ أمر التوحيد هو من ألزم الواجبات على الوالدين العناية به للحفاظ على الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الخلق، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾(٥) وقال ﷺ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(٦) لذا كان أمر التوحيد والبقاء على الفطرة السوية هو أول ما وعظ به لقمان عليه السلام ابنه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾(٧) فنهاه أن يدنّس فطرته باتخاذ معبود غير الله تعالى، وعللّ له سبب النهي بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٨)

ووصية لقمان لابنه نابعة من حب الأب لابنه، فهو اشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، وحذره منه بوصف الظلم بأنه عظيم، والشرك هو أعظم الظلم، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به شيئاً قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(٩)(١٠).

وإن مما ينبغي على الوالدين والمربين في تربية الأبناء أن يولوا جانب العقيدة والتوحيد الاهتمام الأكبر لبنائهم البناء الصحيح الأمثل، خاصة في مرحلة الطفولة ومرحلة المراهقة أو الشباب لاسيما في عصرنا الحاضر والذي كثرت فيه مضلات الفتن بكثرة وسائل التواصل الاجتماعي، المدمرة للعقيدة والأخلاق إن لم تستخدم الاستخدام الصحيح، ويتلقى النشء التوجيه السديد، وكم وكم من فتاة وشاب في مقتبل العمر وزهرته حادا عن الطريق الحق في هذه المرحلة العمرية الحرجة والخطرة، فخرج عياذاً بالله من الإسلام إلى ملة من ملل الكفر أو الإلحاد والتقطته أيادي الردى الساقطة لتشوية صورة الإسلام والمسلمين، وما هذا الخروج إلا بسبب غياب التوجيه والإرشاد من الوالدين والمربّين في هذه المرحلة العمرية، وغياب الرقابة الأبوية الحانية في هذه الفترة التي يواجه فيها المراهق اضطرابات نفسية وجسدية تحتاج من الأبوين إلى احتواء الأبناء، وإن هذه المرحلة هي غاية الأهمية لذا أولاها الإسلام العناية الكبرى، حيث ذكر وصايا لقمان لابنه في هذه المرحلة، وتضمنت الجانب العقدي الذي يحتاج الأبناء من حين لآخر إلى تأكيده وتوثيقه أمر العقيدة في النفوس، وهذه العناية على العكس مما عُرفت به كثيراً من الأسر الغربية التي هي على غير ملة الإسلام، حيث يستقل الابن أو

---

(١) سورة سبأ آية: ٤٦.
(٢) سورة الأعراف آية:٧٩.
(٣) سورة التحريم آية:٦.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب العبد راعٍ في مال سيده ح(٢٥٥٩) ص٥٣٠.
(٥) سورة الروم آية: ٣٠.
(٦) تقدّم تخريجه في هذا البحث ص:٧.
(٧) سورة لقمان آية١٣.
(٨) سورة لقمان آية١٣.
(٩) سورة النساء آية:٤٨.
(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير ٤٢٨/٣.

الفتاة بمسكنه الخاص بمجرد الوصول إلى سن الرشد أو قبل ذلك ليشقّ طريقه وسط هذه الحياة في سن هي أخطر ما تكون للأبناء إن لم تتلق العناية في شتى الجوانب الحياتية والعقدية، أما الأسرة المسلمة فإنها لاتزال ترعى أبناءها وتوجه لهم النصح حتى يُكوِّن كل فردٍ أسرته ويستقل بل يمتد ذلك ما بقي الوالدين على قيد الحياة فلله الحمد والمنة.

الوصية الثانية: برّ الوالدين.

إن من أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى هو حق الوالدين، فكثيراً ما يقرن الله تعالى بين هذين الحقيّن : حق الله تعالى ثم حق الوالدين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[١] وثاني هذه الوصايا في موعظة لقمان لابنه هي الوصية بالوالدين، فهما بعد الله تعالى سبب وجود الأبناء في هذه الحياة، وقد خص الأم بمزيد عناية بذكر تعبها ومشقتها فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾[٢] وقد فسرّ المفسرين الوهن المذكور في الآية بالجهد أو الضعف[٣]، ولذلك استحقت مزيد عناية، حيث قاست تعب الحمل والولادة، ثم الرضاعة والعناية بالتربية، والقيام على الطفل حتى يشتد عوده ويقوى، ولاتزال تلك العناية والمتابعة منهما لأولادهما حتى الموت ماداما قادرين على ذلك.

وقد لخّصَ لقمان الحكيم ما يعانيه الوالدين من أجل أولادهما فيما يصل بهما العناء والمشقة غاية الألم ويكون الطفل في مرحلة الطفولة خاصة في العامين الأولين أضعف ما يكون فخصهما لقمان بالذكر دون سائر القرابة لاستعطاف الولد، واسترقاقه ومخاطبة وجدانه، ومشاعره، فيكون مع ذلك الوعظ أبلغ وأنفع للصبي.[٤]

ويأمر لقمان ابنه بطاعة الوالدين بالمعروف، فإن حرصا على جعل الولد يُشرك بالله تعالى فإنه في هذه الحالة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جلّ وعلا قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[٥] ومع كل هذا فإنه أمر بالإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف وإن كانا مشركين، وفي هذا دلالة على سماحة الإسلام وعنايته بالوالدين، لذا نجد الأبناء في الإسلام في الكثير الغالب محسنون إلى والديهم لاسيما عند الكبر بالرعاية والعناية، وكل ما يُدخل إليهما السرور، لأنهما وصية الله تعالى إلى خلقه، فحُسن تربية الأبناء في الصغر يجني الوالدين ثمرتها بإذن الله تعالى خاصة عند الكبر، والإسلام رفع قدر ومنزلة الوالدين على العكس من بعض المجتمعات الغربية غير المسلمة التي يسقل الأبناء بالمسكن في مرحلة المراهقة بحجة الاعتماد على النفس، وقد يتركهم الوالدين وشأنهم، وفي المقابل يُودع الأبناء آباءهم دار العجزة أو دار المسنين، بل قد يلقونهم في الشوارع والطرقات، وقبل هذا وذاك نجدهم يقطعون الصلة بهم في الكثير الغالب عدا ما يسمي عندهم بعيد الأم، أو في عيد ميلاد أحد الوالدين هذا إن تذكر الأبناء ذلك ولم ينشغلوا، وقد يكتفون ببعث هدية للوالدين دون الحضور. ثم لا يعود الأبناء إليهما مرة أخرى إلا في العام الذي يليه.

إنّ تعاليم الإسلام تأمر الوالدين بحسن تربية الأبناء، وفي المقابل تأمر الأبناء بالإحسان إلى الوالدين وبرهما، خاصة عند كبرهما وضعفهما وحالة إِدْبَارِهما من الحياة وإقبالهما على الآخرة، وكم من والدٍ ووالدة في الغرب تمنّوا أن لو وجدوا الرعاية المطلوبة من أبنائهم عندما يشاهدون ما يفعله المسلمين بآبائهم من البر والصلة والإحسان والطاعة، فلله الحمد والمنة.

الوصية الثالثة: حسن الاتباع للحق وطريق الصالحين:

وجّه لقمان الحكيم إلى ابنه وصية وموعظة أخرى وهي اتباع سبيل المؤمنين الصالحين، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ﴾[٦] أي: اتبع سبيل المستسلمون لربهم المنيبون إليه، واتباع سبيلهم هو أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله تعالى التي هي انجذاب دواعي القلب وإرادته إلى الله تعالى، ثمّ يتبعها سعى البدن فيما يرضي الله تعالى، ويقرّب منه.

ووصية لقمان فيها إشارة إلى حسن اختيار الصحبة والأصدقاء، خاصة في هذه المرحلة العمرية التي يتقلب فيها مزاج الأبناء، فقد لا يحسن الابن اختيار الصديق أو الصاحب في هذه الفترة فوجّه لقمان ابنه إلى هذه القضية

---

(١) سورة الإسراء آية:٢٣.
(٢) سورة لقمان آية:١٤.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٢٩/٣.
(٤) انظر: وصايا لقما التربوية: محمد سلامه النعيمي.https://www.alkah.net /sharia/٠/٦٩٣٧٤#ixzzdH FiaDep
(٥) سورة لقمان آية ١٥.
(٦) سورة لقمان آية:١٥.

المهمة في حياة الابن خاصة، وإن هذه الفترة فترة ميل إلى الاستقلالية عن الوالدين، ومحاكاة ومجالسة الأصدقاء والأصحاب، فالصاحب ساحب، والمرء على دين خليله، لذا كان الإرشاد بوضع قاعدة عظيمة تقوم على أساسها بناء العلاقات مع الأصدقاء، وهي الإنابة إلى الله تعالى واتباع طريق الصالحين على أساس الدين والخلق.

وقد قال ﷺ "إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ(١)، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ(٢)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً"(٣).

ويشير لقمان بهذا التوجيه إلى خطورة بناء الصداقة والاتباع في هذه المرحلة العمرية الخطيرة من حياة الأبناء، فالمراهق يخرج من الطفولة وفيها كان يعتمد شبه اعتماداً كلياً على الوالدين أو المربي إلى مرحلة ما قبل الرشد والانخراط في الأعمال والاعتماد على النفس، فهو يحاول التحرر من القيود التي يفرضها عليه الوالدين فينخرط في جماعة الأصدقاء والرفاق، لذ وجب على الوالدين الحرص كل الحرص على غرس وتثبيت معايير الحكم على الأصدقاء واختيارهم حتى لا ينضموا لجماعة فاسدة، فيفسد ما بناه الوالدين والمربين من أسس ومبادئ وقيم تربوية وأخلاقية(٤).

ومما يحرص عليه الآباء المصلحين أن يُلحق الناشئ في حِلق القرآن الكريم ومجالس الذكر ودروس العلم، ويستفرغ جهده في مناشط الخير والبر، كلٌ حسب جهده وطاقته، وأن يضع خُطى ابنه على الطريق الصحيح الذي يلائمه في هذه المرحلة العمرية، بل عليه أن يهيئه لذلك منذ نعومة أظفاره ليعتاد سلوك هذا الطريق، وكم من إنسان يكتشف أنه حاد عن الطريق بسبب الرفاق بعد فوات الأوان وانصرام الأعوام، وانحطاط القوى وبرود الهمة، فكيف لو اتبع سبيل من أناب في مقتبل العمر، وزهرة الشباب(٥)، فتجده عند تلك اللحظات متحسرًا على ما فات.

الوصية الرابعة: الرقابة الذاتية:

توجّه لقمان إلى موعظة أخرى ووصية مهمة ليبني الرقابة الذاتية في نفس ابنه، فهذه الرقابة لابد وأن تلازم الإنسان في سائر شؤونه، فقال وهو يوصي ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾(٦) قيل: إنّ لقمان سأله ابنه :"أرأيت الحبة تقع في مغاص البحر أيعلمها الله" فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَا﴾، أي: التي سألت عنها ﴿إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾أي إن تكن مثلاً في الصغر كحبة الخردل والمثقال(٧)(٨) من خير أو شر من حسنة أو سيئة فإن الله تعالى يحضرها يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، ويجازي عليها إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾(٩) ولو كانت تلك الذرة داخل صخرة صماء(١٠)، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السماوات والأرض فإن الله يأت بها: لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وإن دقّت ولطفت وتضاءلت، فإن الله لطيف العلم بها خبير بدبيب النمل في الليل البهيم(١١)، فلقمان في هذه الوصية صوّر جانباً محسوساً تصويراً رائعاً ليبني في نفس الابن الرقابة الذاتية في نفسه وهو جانب وجداني ومعنوي.

فهذه الوصية "مثال مادي مفهوم ضربه لقمان حتى يثبّت في قلب ابنه أن الذنوب مهما صغرت، ومهما حاول صاحبها إخفاءها بكل الوسائل الممكنة فإنها لا تخفي على الله تعالى، وحينئذٍ كن يا بني على علم بأن الله يعلم كل تصرفاتك ويرى كل حركاتك وسكناتك، ويأتي بكل ذنوبك لتشهد عليك، في يوم لا ينفع مال ولابنون، وكذلك يأتي بكل أعمالك الصالحة فتشفع لك فتكون من الفائزين في ذلك اليوم العظيم"(١٢).

---

(١) الكير :جهاز من جلد أو طين يستخدمه الحداد للنفخ في النار لإشعالها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٧٥/٢، المعجم الوسيط ٨٠٧/٢.
(٢) الإحذاء: الإعطاء. انظر: الفائق في غريب الحديث ٤٣٢/١.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب العطار وبيع المسك ح (٥٥٣٤) ص١٢٠٨.
(٤) انظر: وصايا لقمان التربوية. https://www.alulkah.net /sharia/٠/٦٩٣٧٤#ixzz٥HFipep
(٥) الأهداف التربوية في وصايا لقمان لابنه، سلسلة الرسائل التربوية ص٧.
(٦) سورة لقمان آية:١٦.
(٧) المثقال: في الأصل مقدار من الوزن، أيُّ شيء كان من قليل، أو كثير، فمعنى مثقال ذرة: وزن ذرّة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢١٤/١.
(٨) انظر: روح المعاني ١٣٣/٢١.
(٩) سورة الزلزلة آية:٧-٨.
(١٠) الصخرة الصَّمَّاء: هي التي ليس فيها خَرْق، ولا صَدْع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ص٥٢.
(١١) انظر: تفسير ابن كثير ٤٢٩/٣.
(١٢) دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم. archive.aawsat.com

الوصية الخامسة: إقامة الصلاة والمحافظة عليها.

يبني لقمان عليه السلام في نفس ابنه قاعدة الاهتمام بأولى العبادات وأهم الطاعات وهي الصلاة، فأوصى ابنه بالصلاة التي تربط بين العبد وربه، "وهذا من لقمان انتقال بابنه من أسلوب التحذير إلى أسلوب الربط، وفي ربط الأبناء بأداء الصلاة مع الحضور والخشوع، إشباع لحظّ الروح من الخواء الروحي الذي أصاب الجيل اليوم"(١).

ولأهمية الصلاة في الإسلام جاء ذكرها في القرآن الكريم في كثير من الآيات والأحاديث الشريفة، فقد أمر النبي ﷺ الأمة بغرس أهمية الصلاة في نفوس الأبناء وتدريبهم عليها منذ الصغر قبل سن التكليف فقال ﷺ "مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عَشْر، وفرقوا بينهم في المضاجع"(٢).

إنّ تربية الابناء على الصلاة منذ الصغر في هذه المرحلة العمرية من الطفولة الهدف منها بناء حب أداء هذه الفريضة حتى يتعودوا عليها ويألفوها، فإذا وصلوا إلى سن التكليف والوجوب لم يفرطوا فيها بل يزدادوا حرصاً وتمسكاً بها، وإنّ مما ينبغي على الوالدين الحرص عليه منذ مرحلة السبع سنوات إيقاظ الأبناء لصلاة الفجر، فالشفقة كل الشفقة تكمن في إيقاظهم وتعوديهم عليها منذ بداية تعليمهم الصلاة، وعدم التهاون بترك الأبناء يخلدون إلى النوم بحجة صغر السن وعدم وجوب التكليف، فإنّهم إن لم يُبنَ فيهم الحرص على الصلوات بما فيها صلاة الفجر سيفرطون فيها، لذا وجب على الوالدين والمربين بناء هذا الجانب في نفوس الناشئة من الأبناء والمتعلمين ينشأ جيل حريص على أداء أهم شعيرة من شعائر الإسلام.

الوصية السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من جُمْلَةِ ما وعظ به لقمان ابنه وأوصاه به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الوصية فيها بناء لجانب إصلاح الفرد نفسه وشخصيته، وإصلاح لمجتمعه، وقد اهتم لقمان الحكيم بتربية وبناء هذا الجانب الهام في شخصية ابنه. "فالأمر بالمعروف هو أمر النفوس، والغير بما هو معروف شرعاً وعقلاً كمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، مما يهذّب النفس ويدعو إلى التحضّر والتمدُّن كما قال تعالى :﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾(٣) والنهي عن المنكر هو منع النفس والآخرين من المعاصي المحرمة شرعاً والقبيحة عقلاً، والتي تغضب الله تعالى، وتوجب عذاب جهنم(٤) وإنّ بناء جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُرسِّخ لدى الأبناء ويغرس فيهم الحرص على المعروف ويمنعهم عن المنكر، من خلال الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر، فالإنسان إذا ما دعا إلى شيء جمع عنه من المعلومات الشيء الكثير، واستخدم كافة قدراته ومداركه في سبيل دعوته، ومن ثمَّ فهو أولى الناس بالالتزام بهذا المعروف، وكذلك الأمر بالنسبة للمنكر، فالناهي عن الشيء لابد له أن يعلم مضاره، فهو أحق باجتنابه، فهذه الوصية بمثابة الدِّرع الواقي، والحصن الذي يحمى من الزيغ والهلاك(٥).

الوصية السابعة: الأمر بالصبـر:

يُردف لقمان الحكيم وصيته بأمر بالغ الأهمية ويعطف عليها بالصبر على الشدائد، فإن الصبر يُعينه على تحمل الأذى في سبيل الدعوة أمرًا بالمعروف ونهياً عن المنكر، لأن هذه المهمة قد يصحبها الأذى من بعض الناس، أو معاداة الداعي وكل هذا يحتاج إلى الصبر المأمور به في القرآن الكريم في كثير من الآيات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(٦) فالدعاة إلى الله تعالى ينالهم من الأذى في سبيل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما ينالهم، ولأنّ هذا الصبر مأمور به أمر وجوب ختم لقمان الحكيم توجيهه لابنه، بالصبر بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾(٧) إن تنمية هذا

---

(١) الملامح التربوية في مواعظ لقمان الحكيم: لزهير عبدالرحمن الأتاسي. مجموعة مواقع مداد. www.miDAD.com
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ح(٤٩٥)١/١٩٧، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ١/١٤٤.
(٣) سورة الشمس آية:٩-١٠.
(٤) انظر: التفسير المنير ٢١/١٤٩.
(٥) وصايا لقمان التربوية. مقال: محمد سلامه الغنيمي، موقع طريق الإسلام.https://islmway.net .
(٦) سورة النحل آية:١٢٧.
(٧) سورة لقمان آية:١٧.

الجانب في نفوس الأبناء في سني حياتهم المبكرة يقوي ويعزز لديهم حب الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمل ما يتبع ذلك من الأذى والضيق، خاصة الدعاة إلى الله تعالى في بلاد الغرب، فإنّ عليهم التحلي بمزيد من الصبر لمواجهة التيار الضخم الموجّه لمعاداة الإسلام وتشويه صورته وصورة المسلمين، فإلى أولئك الذين غُيِّبوا في غياهب السُّجون في المتعقلات بلا جُرم ولا ذنب إلا إنّهم دعاة إلى الله تعالى التحلي بمزيد من الصبر وما ثباتهم إلا دليل على قوة الشخصية والثبات على الحق، أمّا من يرى المنكر أمام عينه لا يتحرك لتغيره فإنّه يُعد إنساناً ضعيف الشخصية.

وبالأمر بالصبر انتهت الأوامر التي وصى بها لقمان ابنه، وقد ابتدأها بالصلاة التي هي عماد الدين، وختمها بالأمر بالصبر، لأنه أساس المداومة على الطاعات وعماد الدين[١]، كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٢].

الوصية الثامنة: النهي عن التكبر والحث على التواضع:

قال لقمان الحكيم مُوصِياً ابنه بجملة من النواهي محذّراً إياه من سلوكها: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[٣]، وهذه الوصايا المشملة على النواهي ينهي فيها لقمان ابنه من عادات ذميمة وسيئة، ويوصّيه بآداب سلوكيه اجتماعية حسنة مع الأفراد والجماعات، ويعلمه فنّ التعامل مع الآخرين، ومعنى الآية: لا تَمِلْ خدّك للناس كِبراً عليهم وإعجاباً، واحتقاراً لهم، وقيل: هو أن تَلْوى بِشدْقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره، فالمعنى أقبل عليهم متواضعاً مؤنساً مستأنساً، وإذا حدثك أصغرهم فاصغ حتى إليه يُكمل حديثه، وكذلك النبي ﷺ يفعل"[٤] .

والصّعْرُ: داءٌ يُصيب البعير يَلوِى منه عنقه[٥]. قال ابن كثير–رحمه الله–("يقول لا تَعرْض بوجهك على الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم، ولكن ألِن جانبك، وابسط وجهك إليهم كما جاء في الحديث "ولو أن تلق أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار فإنّها من المخيلة، والمخيلة لا يحبها الله"[٦])[٧] فلقمان الحكيم يبني جانباً أخلاقياً وإنسانياً عظيماً في نفس ابنه، فالتعامل مع النّاس لابد أن يكون بأدب وذوق حتىّ في أدق التفاصيل[٨]، ولا يُخطئ السَّمع والبصر عباراتٍ أو تصرفاتٍ غير لائقةٍ تبدر من الناشئين تدلّ على ازدراء بعض الناس إمّا بسبب ألوانهم، أو أعراقهم، أو بلدانهم، أو غير ذلك، مما يعتبره بعض الجهّال نقصاً وعيباً في الغير، لذا لابد من التوجيه والإرشاد لمن تقع منه هذه الممارسات الخاطئة، حتى لو تطلب الأمر إلى التعنيف والتغليظ كما صنع النبي ﷺ بأحد أصحابه عندما قال لبلال – رضي الله عنه– "يا ابن السوداء! فقال النبي ﷺ : إنك امرؤٌ فيك جاهلية"[٩][١٠].

وقد ينشأ الطفل وفي نفسه شيء من هذا الخُلُق الذميم بطبعه، فيجب على الوالدين والمربين ملاحظة مثل هذه الأخلاق الرذيلة مبكراً؛ حتى يسهل اقتلاعها، وغرس خلق التواضع لأنّه مأمور به مع أنه لم يرد في الآية صراحة إلا أن المفهوم منها يدل على ذلك فيكون مذموماً منهياً عنه، فالتواضع في المقابل مأمورٌ به، وقد قال رسول الله ﷺ : "ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله"[١١].

الوصية التاسعة: ذم الخيلاء والفخـر:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٢] أي: خيلاء متكبراً، جباراً عنيداً لا تفعل ذلك، يبغضك الله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي معجب في نفسه، فخورٌ على غيره[١٣] والمرح معناه الفرح

---

(١) انظر: تفسير المراعي ٥٨/٢١، التفسير المنير ١٥٠/١.
(٢) سورة البقرة آية: ٤٥.
(٣) سورة لقمان آية: ١٨.
(٤) الشِّدْق: بالفتح والكسر طفطفة الفمّ من باطن الخدّين، والأشداق جوانب الفم. انظر: النهاية في غريب الحديث ولأثر ٨٥/١، القاموس المحيط ص ٨٠٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤٧/١٤، أضواء البيان ١٨٠/٦.
(٦) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، ح(٤٠٨٤) ٢٣/٤ وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي دواد ح(٤٠٨٥)٥١٦/٣.
(٧) تفسير ابن كثير ٤٣٠/٣.
(٨) قواعد تربوية قرآنية من سورة لقمان، د. أحمد محمد أبو عوض، موقع منهل الثقافة التربوية http://www.dimofirnetversi.٤.o.ocopright C Dmension of Infomationltd.
(٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية...الخ، ح(٣٠) ص٢١.
(١٠) الأهداف التربوية في وصايا لقمان لابنه د: أحمد القاضي، ص:١٢.
(١١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ح(٢٥٧٧)١٥٨٨/٤.
(١٢) سورة لقمان آية:١٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٣٠/٣.

الزائد والنشاط البالغ، بنحوٍ مجاوز للحدّ وهو كذلك ينبع من الخيلاء والتكبر والشعور المتجاوز بالعلو، فمعني المشي مرحاً، أن يمشي الإنسان مشية تدل على الكبر والتعالي(١).

فلقمان الحكيم يُربّي ويبني في نفس ابنه خُلُقُ التواضع وينهاه عن خُلقين ذميمين وهما الخيلاء، والفخر، إذ هما وصفان ذميمان أحدهما باطني والثاني ظاهري، الأول يضر صاحبه في نفسه، والثاني يستطيل به على الآخرين بغير حق، ولما كان الأبناء في مقتبل العمر، وفورة الشباب قد يقع هذان السلوكان منهم وجب على الوالدين ملاحظة هذا الأمر وإرشاد الأبناء إلى الطريق السوي، ولفت انتباههم إلى أنّ بعض الحركات واللفتات تنمّ عن هذا الخلق الذميم فيُبين الوالدين والمربين قُبحها عند الله وعند النّاس، وينقله إلى حال أرقي، ويغرس ويبني فيه جانب التواضع والاعتدال، ويبصره بأنّ مقدار الكرامة والرفعة عند الله تعالى هي التقوى(٢)﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٣) وإنّ التواضع وحسن التعامل مع الآخرين من أنجح وأقوى الوسائل في الدعوة إلى الله تعالى ونشر الإسلام، وبعدم الامتثال بالأخلاق من الحسنة صرفاً للناس عن الإسلام ومبادئه وشريعته.

وإنّ الإسلام والمسلمين محطّ الأنظار في كل بلاد الغرب، وبالأخلاق والتواضع وحسن التعامل مع الآخرين تلجم الأفواه التي تتربص بالمسلم الزّلة، بل تنقلب الموازين إلى إعجاب الغرب بالإسلام وانبهارهم بأخلاق المسلمين، وكثيرٌ من البلاد دخلها الإسلام عن طريق تعامل المسلمين بغيرهم بإظهار حسن أخلاقهم، فبناء هذا الجانب في النشء وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى والواقع يشهد بذلك.

الوصية العاشرة: الاعتدال في المشي:

يوصي لقمان الحكيم ابنه بالتوسط والاعتدال في المشي، وهو أمر مرغوب –أي الاعتدال–في شتى مجالات الحياة، قال لقمان واعظاً ابنه ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾(٤) "لمّا نهاه عن الخلق الذميم أمره بالخُلق الكريم، وهو القصد في المشي، بحيث لا يبطئ، كما يفعل المُتَنَامِسون(٥) والمتُعَاجِبُون يتباطؤون في نقل خطواتهم، المتنامين للرياء، والمتعاجب للترفع، ولا يُسرع كما يفعل الخرق(٦) المتهور ، قال ابن مسعود – رضي الله عنه– كانوا ينهون عن خَبَب(٧) اليهود، ودَبِيب النصارى، ولكن مشياً بين ذلك"(٨).

وإنّ التوسط والاعتدال في المشي وتوجيه الأبناء إليه في سِنِي حياتهم المبكرة أمرٌ في غاية الأهمية، ليعتاد الأبناء على المشي والكلام المعتدل، وإنّ مما يؤسف له ما يُشاهد في بعض شباب المسلمين من التميع في المشي والكلام، وما ذلك بصفات الشباب المسلم المتصف بالرجولة الحقة، فتوسط الشباب والقصد في المشي يُضفي عليه رونقاً وبهاءً وجلالاً، وليس ذلك بممتنع مع دوام التوجيه والإرشاد والبناء والتقويم من الأب الناصح والمرّبي الحكيم.(٩)

الوصية الحادية عشرة:أدب الكلام والخطاب.

لاتزال وصايا لقمان الحكيم النفيسة التي يحتاجها المسلم في بناء الشخصية الإنسانية السوية، قال تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾(١٠) فيوجه ابنه إلى أدب الكلام والخطاب والاعتدال في المنطق، ويرشده إلى نقص الصوت، أي لا تتكلف رفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكّلف يؤذي آلة السمع، وتدلّ على الغرور والاعتداد بالنفس وعدم الاكتراث بالغير، واعتدال الصوت أوقر للمتكلم، وأقرب لاستيعاب الكلام وفهمه(١١).

---

(١) انظر: وصايا لقمان والتنمية البشرية الحقيقية التي يحتاج إليها اليوم كل إنسان: نور عالم خليل الأميني، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، جمادى الأولى١٤٣٩هـ–يناير–فبراير ٢٠١٨م العدد (٥) السنة:(٤٢)
(٢) انظر: الأهداف التربوية في وصايا لقمان لابنه ص:١٣.
(٣) سورة الحجرات آية:١٣.
(٤) سورة لقمان آية:١٩.
(٥) المُتَنَامِسون: التَّنْمِيس هو التلبيس والاحتيال. انظر: القاموس المحيط ص:٥٢١.
(٦) الخرُق: ضد الرّفق، وأن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور، والحَمِق والأَخْرق الأحمق. انظر: القاموس المحيط ص:٧٩١.
(٧) خبب: الخَبَبُ: ضَرْب من العَدْو وهو خَطْوٌ فسيح. انظر: المصباح المنير ص٨٧.
(٨) انظر: البحر المحيط ١٨٣/٧.
(٩) انظر: الأهداف التربوية في وصايا لقمان لابنه د.أحمد بن عبدالرحمن القاضي، ص٣.
(١٠) سورة لقمان آية:١٩.
(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٨/١٤. التفسير المنير ١٥١/٢١ وما بعدها.

وقد علل النهي عن رفع الصوت بأنّه يشبه صوت الحمير، وهو أقبحها وأوحشها، كما أنّ الحمار مثل في الذّم البليغ والشتيمة، وكذلك نهيقه، وقد عُدّ في مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أُولي المروءة(١)، فرفع الصّوت من غير حاجة أمرٌ مذموم، وشبّه ذلك بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية، وذلك غاية في الذّم(٢). فإن صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق، كصوت أهل النار(٣)، وفي غضّ الصوت أدب راقٍ، وثقة بالنفس، وامتلاك لناصية الكلمة، واطمئنان من الغير إلى صدق حديثه، واعتدال مزاجه، فيحاول أن يخفى هذا الشك بالحدة والغلظة(٤).

ولا يخفى ما لهذه الموعظة من أثر تربوي عظيم في بناء الشخصية المسلمة المتزنة، فيحسن بالأبناء التحلي بها، والاهتمام بشأنها، وعلى الآباء ملاحظتها في الأبناء منذ الصغر ليسهل تقويمها(٥).

المبحث الثاني:

توجيهات للمربي في وظيفته التربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم.

إنّ القاعدة الأولى التي يرتكز عليها الأبناء في تلقي التوجيهات الدينية، والتربوية، والأمور الحياتية منذ نعومة أظفارهم إلى مرحلة الشباب، وقد تستمر في الإسلام إلى مفارقة هذه الحياة هما الوالدين بالدرجة الأولى، كما يعتمد الأبناء في التلقي والمعرفة وتوجيه السلوك على المربين والمعلمين، لذا فإن هناك توجيهات عديدة هامة ينبغي على المربي أن يسير عليها في وظيفته التربوية حتى يُبنى النشء على الدين والأخلاق والعلم البناء الإنساني الصحيح على الوجه الذي يُرضي الله عزّ وجّل، ومن هذه التوجيهات ما يلي:

١-الحكمة: على المربي الفاضل أن يتحلى بالحكمة في اتخاذ القرارات والإرشاد والتوجيه، ومع أنّ الحكمة منحة إلهية يعطيها الله من يشاء من عباده إلا أنّ المربي عليه أن يدرب نفسه عليها، حتى وإن لم يصل إلى درجةِ مَنْ وهبه الله تعالى إياها عطاءً ومنحة لتكون توجيهاته وإرشاداته صائبة وفي محلها، وقد وصف الله تعالى لقمان بالحكمة وهي الفهم والعلم، وأكثر العلماء على أن الحكمة ليست العلم المجرد بل العلم مع زيادة مبالغة فيه، أو العلم مع العمل(٦).

وقد أمر الله تعالى الرسول ﷺ والدعاة خاصة بالتحلي بالحكمة فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾(٧) وهذه الحكمة غير مشروطة بالألوان أو الأعراق أو البلدان فلقمان الحكيم كان أسوداً وآتاه الله تعالى الحكمة.

٢-الشكر: إنّ من آتاه الله تعالى الحكمة ينبغي له أن يشكر الله تعالى على النعمة التي أولا إيّاها قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾(٨) ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾(٩).

٣-البدء بالأهم فالمهم: يجب على المربي في تربيته وإرشاده وبنائه لأبنائه أن يبدأ بما هو أهم، ففي وصايا لقمان ابتدأ بأهم أمر يجب أن يُربى عليه الابن وهو توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبودية فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾(١٠) ثم ذكر بقية الوصايا تباعاً.

٤-تعليل النهي أو ذكر السبب: فعندما ينهى المربي المتربين عن فعل أو قول لابد وأن يصحب النهي التعليل بذكر السبب، لأن ذلك أدعى إلى القبول والإقناع عكس النهي المجرد عن ذلك فقد لا يلقى قبولاً لدى المتربين أو المتعلمين، وكذلك الأمر بالنسبة للأوامر. فعلى سبيل المثال لمّا نهى لقمان ابنه عن الشرك ذكر له سبب

---

(١) انظر: الكشاف ٤٨٢/٣، الجامع لأحكام القرآن ٤٨/١٤، التفسير المنير١٥١/٢١، تأملات في سورة لقمان د. عبدالحي الفرماوى. Theeliban mohoob.montarabi.com

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٩/١٤.

(٣) انظر: تفسير النسفي٢٨٢/٣.

(٤) انظر: في ظلال القرآن ٢٧٩٠/٥، الملامح التربوية في مواعظ لقمان، مقال: زهير عبدالرحمن الأتاسي مجموعة مواقع مداد . www.mDAD.com

(٥) الملامح التربوية في مواعظ لقمان. www.MDAD.com

(٦) انظر: الكليات ص:٣٨٢.

(٧) سورة النحل آية:١٢٥.

(٨) سورة لقمان آية١٢.

(٩) سورة لقمان آية١٤.

(١٠) سورة لقمان آية:١٣.

النهي فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١) ولمّا أمره بالصّلاة والصّبر علّل الأمر بهما فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٢) ولمّا أمره بخفض الصوت في الكلام علل له شناعة رفع الصوت بأنّه أمر مستهجنٌ قبيح، لأنّ الصوت المرتفع يشبه صوت الحمير فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾(٣).

٥-القدوة الحسنة: إن التأسي بالأخلاق الحميدة بالأسوة والقدوة الحسنة مطلبٌ هام جداً في التربية الوالدية، وكذلك الأمر بالنسبة للمربّين والمعلمين، قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٤) فسلوك المربّي في قوله وفعله محطّ نظر المتربّين، خاصة في فترة الصغر، فالأبناء يُحاكون والديهم ومعلميهم ومربيهم في سلوكهم وأقوالهم، فيلزم الآباء والمربين ملاحظة ومراقبة تصرفاتهم أمام الأبناء لأنّهم القدوة والمدرسة الأولى لهم في هذه الحياة.

٦-التلطف والتحبب والتودد: إنّ التلطف والتحّبب بالألفاظ والأفعال مما يجب على المربّي، فالأب أو المربي الذي يستخدم ألفاظ التلطف قبل التوجيه والإرشاد أكثر قبولاً وأثراً في النفس، وقد استخدم لقمان الحكيم قبل البدء بوصاياه ونصائحه لابنه أسلوب التلطف والتحبب بحيث لم يناده باسمه الصريح، وإنّما ناداه بلفظ البُنُوّة وتصغيره فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ قال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾(٥) وقال: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٦) ولفظ التلطف والتودد يُدخل السرور إلى نفس المتربي، وقد كان رسول الله يتلطف في مناداة الصبيان بعبارات المودة والحب والتي تجعل الموعظة أدعى إلى القبول في النفس. ومن ذلك قوله ﷺ :"يا أبا عمير ما فعل النغير"(٧) وقال: "يا غلام سم الله وكل بيمنك"(٨)، وعلى الوالدين والمربين البعد عن الألفاظ والكلمات الجارحة التي تخدش مشاعر الأبناء أو المتعلمين، فانتقاء الألفاظ التي تدل على المحبة والشفقة والتقدير والاحترام، أدعى إلى قبول التوجيه والإرشاد.

٧-اختيار الوقت والسن المناسب للموعظة: ليجدي بناء السلوك وتوجيهه مع الأبناء لابد من تحري واختيار الوقت والسن المناسب، فقد يتطلب التوجيه أن يكون مباشرة عند صدور الفعل أو القول من الابن، فلا يحتمل الموقف تأجيلاً أو تجاهلاً، لأنّه إن فات وقته لم يُجن النتيجة المرجوة من تقويم الأخلاق والسلوك، وقد يتطلب التوجيه تأخيره إلى وقت آخر مناسب منعاً لإحراج المتربي أمام أقرانه أو ما شابه ذلك.

وموعظة لقمان لابنه تدل على أنّه لم يكن طفلاً صغيراً وإنّما كان في مقتبل العمر قد تعدى مرحلة الطفولة، وبعض موعظته كانت في وقتها دون تأخر ناتجة عن سؤال سأله إياه عن علم الله تعالى فكان الجواب في حينه.

٨-الحرص على الربط بالواقع المحسوس: إنّ الربط بالواقع يجعل الموعظة تلامس شغاف القلب والعقل، فنجد لقمان الحكيم ربط موعظته وتوجيهه لابنه في خفض الصوت بما هو معروف لديه ومألوف في الواقع الذي يعيشه، قال تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾(٩) ولاشك أنّ ذلك الحيوان معروف لدى الموعوظ، ولذلك عبّر عن بشاعة رفع الصوت بما هو مزعج حتى لدى الناشئين، ولو لم يكن ذلك معروفاً لديه لما استعمله لقمان في تصوير شناعة ذلك الفعل، والربط بالواقع في العملية التربوية والتعليمية يرسّخ المعارف والمهارات في الذهن.

٩-أهمية الحرص على إيجاد البدائل: إنّ النهي المجرد للنشء عن الخلق أو السلوك، أو حتى في الأمور الحياتية لن يلتزم به المتربّين إذا لم يوجد البديل للممنوع، وقد استخدم لقمان في تربيته لابنه إيجاد البدائل عن المنهي عنه، فلما نهاه عن التكبر والمشي بمخيلة أو جد له البدائل عن ذلك الخلق السيء المذموم، فأرشده إلى التواضع والاقتصاد في المشي، فقال: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾(١٠).

---

(١) سورة لقمان آية ١٣.
(٢) سورة لقمان آية ١٧.
(٣) سورة لقمان آية ١٩.
(٤) سورة الأحزاب آية:٢١.
(٥) سورة لقمان آية:١٣.
(٦) سورة لقمان آية:١٧.
(٧) أخرجه البخاري، في كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل ح (٦٢٠٣) ص ١٣٢٥.
(٨) أخرجه البخاري، في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ح (٥٣٧٦) ص١١٧٩.
(٩) سورة لقمان آية:١٧.
(١٠) سورة لقمان آية: ١٩.

١٠-الجلوس مع الأبناء وتلمس احتاجتهم: إنّ جلوس الوالدين والمربّين مع أبنائهم ومتعلميهم، وتلمس احتياجاتهم من جميع الجوانب يجعل الوالدين والمربين على قُرب من الأبناء فيسهل عليهم التوجيه وتقويم السلوك وتعزيز الإيجابي منه، وهذا أمر في غاية الأهمية لكي يبني الوالدين والمربون أبناءهم البناء الإنساني السليم فهم قادة الأمة والمربين في المستقبل.

١١-تعليم المتعلم حسن الاستماع وجودة الاصغاء: ففي ذكر الموعظة من الأب لابنه، بالتلطف والتودّد، وذلك من آداب الخطاب حيث استرسل الوالد المربّي في الموعظة، وحسن الاستماع والاصغاء والانصات من غير مقاطعة من الابن لوالده من أدب الاستماع. وفي هذا دلالة على أدب ابن لقمان الجمّ إذا لم يقطع أباه أثناء موعظته، وإنّما أصغى إليه فاتحاً قلبه وعقله قبل أذنيه للتلقي والتعلمُّ. وهذا ما ينبغي أن يُبنى في الأبناء فنّ إجادة الإصغاء من غير مقاطعة للوالدين أو المربّين، فإنّ قطع حديث الوالدين أو المربين قبل تمام حديثهم من سوء الأدب.

١٢-البلاغة في الخطاب والإيجاز: إنّ البلاغة في الخطاب وإيجاز العبارات مطلب من المطالب التربوية المهمة، فالنفس البشرية من طبيعتها السآمة والملل من طول الكلام، فكلما كانت الموعظة بليغة موجزة كانت أدعى للقبول والاستجابة والتنفيذ، وأكثر أثراً في النفس، ولقمان في موعظته ووصيته لابنه قد سلك هذا المسلك بعبارات بليغة وجيزة، لها وقعها في النفس بالقبول، فلم تكن بالطويلة المملّة ولا بالقصيرة المخلّة.

١٣-الشمول في الموعظة: على المُرَبّي في تربيته للنشء أن تكون تربيته شاملة لكل ما يحتاج إليه المتربي في بناء إنسانيته، وقد كانت موعظة لقمان كذلك، فالابن يحتاج أن يُغرس ويبني فيه جانب العقيدة، والعبادات والطاعات، وكذلك الأخلاق في نفسه وفي تعامله مع غيره، فقد شملت هذه الوصية علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته مع الآخرين، وحياة الإنسان في هذه الحياة قائمة على هذه العلاقات الثلاث وتدور حولها.

١٤-معرفة طبيعة الذات الإنسانية المراد بنائها: فمعرفة طبيعة الذات الإنسانية المراد بنائها ومعرفة استعداداتها وميولها، ودوافعها ومكامِن التأثير فيها، مما ينبغي على المربي مراعاته في عملية البناء الإنساني.

المبحث الثالث:

معينات الثبات القيمي في سورة لقمان:

إن الثبات على القيم في زمن المتغيرات الحديثة مطلب شرعي هام، خاصة وقد أحاطت بالمسلمين أصناف وألوان من الشهوات والشبهات التي بسببها بدأ يصير هذا الدين غريباً كما بدأ، وازداد احتياج المسلمين وخاصة الشباب منهم إلى معرفة وسائل الثبات على القيم في كافة الجوانب، والدينية، والأخلاقية والاجتماعية، والسياسية وغيرها من الجوانب، ومن أبرز الأمور المعينة على الثبات القيمي في سورة لقمان ما يلي:

١-التمسك بالقرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، فالتمسك بالقرآن الكريم قولاً وعملاً من ضروريات الإعانة على الثبات على القيم، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في تثبيت قلب رسول الأمة ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[1] فقراءة القرآن الكريم وحفظه، وتدبره والعمل بما فيه تعين المرء على التثبيت والتغلب على المغريات والشهوات والشبهات المحاطة بالمسلمين عموماً وبالناشئين خصوصاً، ولاشك أنّ القرآن الكريم يبعث في النفس الطمأنينة، فبالطمأنينة يتغلب المسلم على تلك الشكوك والشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام في بلاد الغرب، أو المرتزقة في بلاد الإسلام من العلمانيين والليبراليين وسائر الطوائف الضالة التي تسعى إلى تدمير الإسلام والمسلمين بكل سبيل، لطمس هوية الإسلام والمسلمين.

والسنة لا تنفك عن القرآن، فالسير على هدى النبي ﷺ مما يعين على الثبات على القيم فهو عليه الصلاة والسلام القدوة والأسوة لنا وللأجيال من بعدنا، الذين سيحملون راية الاسلام قال رسول الله ﷺ : "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ[2]" لحديث.

---

(١) سورة الفرقان آية:٣٢.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة ح (٤٦٠٧) ٢٠٦/٤، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود ح (٤٦٠٧)١١٨/٣.

٢-البعد عن الملهيات، وخاصة التي حذر منها القرآن الكريم، والتي ورد التحذير منها في القرآن الكريم وعلى لسان الرسول ﷺ الأمور التي تأذن بالفساد، وهدم القيم، ومن ذلك الغناء والمعازف، وسائر ما يُلهي ويبعد العبد عن الله تعالى، قال تعالى :﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾(١) والمراد باللّهو في الآية: هو الغناء، والباطل والمزامير(٢).

وما انتشار المعازف في زماننا إلا إيذاناً بما توعد به رسول الله ﷺ من يستبيح ذلك، فقد قال رسول الله ﷺ "ليكونن من أمتي أقوام سيتحلّون الحِرَ(٣) والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم يروحُ عليهم بسارحة لهم(٤)، يأتيهم –يعني الفقير– لحاجة، فيقولوا ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخُ آخرين قردة، وخنازير إلى يوم القيامة"(٥) فعدم الانخداع بزخرف الدنيا وزينتها وملهياتها هو طريق من طرق الثبات على القيم قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾(٦)

٣-الالتزام بالطاعات والأعمال الصالحة، والمداومة عليها لاسيما الصلاة التي هي عماد الدين، وقد امتدح الله تعالى في سورة لقمان المؤمنين المؤدّين للصلاة على الوجه الأكمل، والمؤدين للزكاة، الموقنين باليوم الآخر وما فيه قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾(٧) وقال تعالى:" ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾(٨) قال قتادة رحمه الله تعالى في المراد بالتثبيت في هذه الآية:" أمّا في الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير، والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر"(٩).

٤-إخلاص العبودية لله تعالى، والتأمل في عظمته بتأمّل عظمة مخلوقاته عزّ وجلّ، ومراقبته في السِّر والعلن، والتمسك بأوثق عُرى الإيمان قال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾(١٠).

٥-القراءة في تفسير قصص الأنبياء وتدبر معانيها في ثباتهم على الحق، ومطالعة سير الصالحين الذين لاقوا صنوفاً من المحن والفتن، وصبروا وثبتوا على الحق والقيم كنوح، وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمد ﷺ وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١١) ولثبات السلف على الحق والقيم أمثلة كثيرة تذخر بها كتب التراجم والسِّير، كثبات بلال وآل ياسر والإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– في محنة القول بخلق القرآن، وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وغيرهم كثير قديماً وحديثاً.

٦-الصّبر والصّلاة: إنّ التحلي بالصبر مما يعين المرء على الثبات على القيم خاصة عند كثرة الفتن، فالمصابرة ومجاهدة النفس حصن حصين، ودرع متين لصِدّ تيارات الفتن ومجابهتها. لمحاربة النفس الأمارة بالسوء، ومحاربة الفتن، وأعداء الإسلام، ويرتبط الصبر بالصلاة ارتباطاً كبيراً، ليستعين بهما العبد على الطاعات، والانتهاء عن الفحشاء، قال تعالى ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾(١٢) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١٣).

٧-لزوم الحكمة: فالتبصر في الأمور، وعدم التهور في ردود الأقوال والأفعال مما يعين على الثبات على الحق والقيم، وما وصف القرآن الكريم لقمان بالحكمة إلا لأنّه وصل إلى درجةٍ عالية من العلم والفهم والرزانة، والحصافة، وهي صفة امتدح الله تعالى بها لقمان الحكيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾(١٤).

---

(١) سورة لقمان آية:٦.
(٢) انظر: الدر المنثور ٥٠٧/٦، توفيق الرحمن ٤٥٨/٣.
(٣) الحِرَ: هو الفَرْج. انظر: فتح الباري ١٧٩/١١.
(٤) السارحة: هي الماشية التي تسرح بالغداة إلى رعيها، وتروح أي ترجع في العشي إلى مألفها . المصدر السابق.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ح(٥٥٩٠) ص ١٢١٩.
(٦) سورة لقمان آية: ٣٣.
(٧) سورة لقمان آية:٤.
(٨) سورة إبراهيم آية:٢٧.
(٩) تفسير ابن كثير ٥١٦/٢.
(١٠) سورة لقمان آية: ٢٢.
(١١) سورة هود آية: ١٢٠.
(١٢) سورة البقرة آية ٤٥.
(١٣) سورة البقرة آية ١٥٣.
(١٤) سورة لقمان آية: ١٢.

٧- الشكر لله تعالى ثم الوالدين: إنّ الثبات على القيم يقتضي شكر المتفضّل سبحانه وتعالى، ولا يكون الثبات لولا توفيق الله تبارك وتعالى، فهو نعمة من نعم الله تستلزم الشكر لتدوم قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(١) وشكر الوالدين وبرهما من أهم العوامل التي تعين على الثبات على الحق والقيم، فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢) وفي اقتران شكر الله تعالى بشكر الوالدين دلالة على أهمية شكرهما وبرهما مما يترتب على ذلك الدعاء منها للأولاد بالتوفيق والثبات، ولاشك أنّ دعاء الوالدين مستجاب.

٩-الإنابة والرجوع إلى الله بالتوبة والذكر: المسلم الصحيح الإيمان رجّاع إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، وذِكر الله تعالى، وذلك له أثر في الثبات على القيم، والبعد عن مضلات الفتن، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣)

١٠-الصحبة الصالحة: مما يعين على الثبات على القيم ملازمة الصحبة الصالحة، واقتفاء آثارهم في أعمال الخير والصلاح والمداومة على ذلك، والبعد عن الصحبة الفاسدة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ﴾(٤) فالصحبة الصالحة تدل المرء على الخير، وتبعده عن الشر، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(٥).

١١-ترك التقليد الأعمى القائم على الجهل وعدم التبصر بعواقب الأمور، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٦).

١٢-الأخذ بالنصيحة والموعظة: مما يعين على الثبات على القيم، الأخذ بالنصيحة والموعظة، ومشاوره أهل الدين والعلم والعقل، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الموعظة والنصيحة والأخذ بهما، خاصة إذا وردت عمن يعرف بالدين والصلاح والعلم والعقل، وقد نصح لقمان ابنه بنصائح ومواعظ بليغة تعين المرء على الثبات على الدين والقيم، وتحميه من الانزلاق في مهاوي الرّدى والضلال.

١٣-الدعوة إلى الله تعالى: إن الدعوة إلى الله تعالى فيها دعوة للنفس أولاً وللغير ثانياً، وتذكير بالثبات على الحق أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وقد ضرب لقمان الحكيم في وصيته لابنه أروع الأمثلة في الدعوة إلى الله تعالى والثبات على القيم، ومما امتدح الله تعالى به هذه الأمة وميزها عن غيرها من الأمم، ونالت الخيرية به، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك هو الطريق إلى الثبات على القيم قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(٧).

١٤-تدارس التوحيد وتعزيزه: من أولى الواجبات التي يجب مراعاتها للثبات على القيم تدارس التوحيد؛ لتعزيزه في نفوس الناشئة لاسيما وأنّ اتجاهات كثيرٍ من التيارات المعادية للإسلام تسعى إلى ارتداد المسلمين عن دينهم والبعد عنه شيئاً فشيئاً، خاصة الناشئين منهم في بداية مرحلة الشباب، وذلك ببث السموم في عقائدهم وأفكارهم للخروج بهم عن دينهم إلى غير دين الإسلام كاليهودية والنصرانية، بل وصل الأمر لدى البعض إلى الإلحاد عياذاً بالله، فتدارس التوحيد وتعزيزه على المنهج الصحيح بين الحين والآخر وتكثيفه في المناهج الدراسية والدورات، والدروس العلمية سيكون حصناً لأبنائنا مما يرمي إليه أعداء الإسلام من انتشار الإلحاد بين أبناء المسلمين الذين هم عدة الأمة وعتادها في المستقبل بإذن الله.

١٥-**استشعار أن المرجع والمنقلب إلى الله تعالى:** كلما كان نصب عين المسلم أنّ مرّده إلى الله تعالى ومصيره إليه سبحانه وتعالى، وسيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، كلما حافظ وثبت على قيمه ومبادئه الإسلامية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾(٨).

---

(١) سورة لقمان آية: ١٢.
(٢) سورة لقمان آية:١٤.
(٣) سورة الأنفال آية:٤٥.
(٤) سورة لقمان آية:١٥.
(٥) سورة الكهف آية:٢٨.
(٦) سورة لقمان آية:٢١.
(٧) سورة آل عمران آية:١١٠.
(٨) سورة لقمان آية: ٢٣.

الـخـاتـمـة:

الحمد الله خالق الإنسان، معلمه البيان، الحمد الله على ما منّ به وتفضل بدءً وانتهاءً بكتابة هذا البحث، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى، والحبيب المجتبى أكرم وأكمل الإنسانية على الإطلاق محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه الأطهار ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد فهذه بعض النتائج التي استخلصتها من هذا البحث الموسوم ببناء الإنسان كما ورد في سورة لقمان وهي كالتالي:

١- اشتملت سورة لقمان على منهج متكامل لتربية وبناء الإنسان على الوجه الأمثل والأكمل الذي يصل بالإنسان إلى الرقِّي الإنساني.

٢- من أهم أنواع البناء الذي ركزت عليه سورة لقمان هو بناء العقيدة وإخلاص التوحيد لله سبحانه وتعالى.

٣- أهمية تعزيز التوحيد في نفوس الناشئة والتأكيد عليه من حين لآخر حماية للأبناء من الانحراف عن العقيدة الإسلامية الصافية النقية.

٤- إن علاقة البناء الوالدية مع الأبناء، وكذلك علاقة المربّين والمعلمين مع المتعلمين تقوم على التودّد والتحببّ والتلطّف والاحترام.

٥- القدوة الحسنة سبيل إلى بناء الإنسان، والقدوة السيئة سبيل لهدم البناء الإنساني وتدميره.

٦- إن بناء الإنسان من خلال ما ورد في السور والآيات القرآنية يُنشئ جيلاً متوازناً تعتمد عليه الأمة في مستقبلها.

٧- خلق الله تعالى هذا الكون واستعمر بني آدم لبنائه، ولن يكون هذا البناء إلا بعد بناء الإنسان فبناء الإنسان سبيل إلى بناء الأوطان.

٨- بناء الإنسان سبيل إلى بناء الأوطان.

٩- البناء الأخلاقي للإنسان يشمل علاقته بنفسه وعلاقته مع الآخرين.

ولاستثمار هذه النتائج والاستفادة منها في خدمة الجالية المسلمة في الغرب يمكن اتباع الآتي :

١- عدم الاقتصار على العبادات والأخلاق المجردة، والتركيز على بناء العقيدة الصحيحة الصافية من موردها الصافي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، عن طريق تكثيف دراسة العقيدة والأخلاق في المناهج الدراسية في كافة المراحل الدراسية لأبناء الجالية المسلمة في الغرب، لبناء الشخصية الإسلامية السوية.

٢- تكثيف الدورات التوعوية للوالدين والأبناء لزيادة تقوية العلاقة بينهما خاصةً في مرحلة المراهقة التي يميل فيها الأبناء إلى الاستقلالية عن الوالدين، فيزداد الترابط بين الوالدين والأبناء لزيادة التودد والتحبب في أسر الجاليات المسلمة في الغرب.

وبعد هذه النتائج فإن هناك عدداً من التوصيات الجديرة بالعناية والاهتمام وهي:

١- تعميق الدراسات حول السور والآيات التي تتناول بناء الإنسان في القرآن الكريم، والتي ترشد إلى بناء الإنسان عقدياً وجسدياً وخلقياً، واجتماعياً وتربوياً ونفسياً وعلمياً.

٢- العناية بالتدرج في التربية السليمة والتعليم القويم، فكل مرحلة عمرية تحتاج إلى بناء إنساني قيمي مختلف عمّا قبلها، والكلّ يكمل بعضها بعضاً.

٣- ضرورة جلوس الآباء والمعلمين والمربين، مع النشء؛ للتوجيه والإرشاد والتربية، وتقويم السلوك، وتنويع أساليب الحوار بينهم؛ لبناء السلوك الإنساني القويم.

٤- ضرورة التركيز على الركائز التي اشتملت عليها وصايا لقمان لعملية البناء الإنساني. وهي" المربّي، والمتربي، الأسلوب، الهدف"

وبعد فهذا جهد المقل المتواضع فما كان فيه من صواب واستحسان فمن الله تعالى بمنه وفضله وكرمه، وأسال الله تعالى القبول، وما كان فيه من خطأ أو زللٍ فمن نفسي ومن الشيطان، وأسال الله تعالى غفران الخطأ والزلل.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.
١-الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي: تحقيق وتعليق: فواز أحمد زمرلي، (ط٢) ١٤١٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
٢-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لأبي بكر جابر الجزائري (ط٢)١٤٠٧هـ، للدعاية والإعلان-جدة.
٣-الأهداف التربوية في وصايا لقمان لابنه، سلسلة الرسائل التربوية، د:أحمد بن عبدالرحمن القاضي، (١٤١٣)، مكتبة الملك فهد الوطنية-مركز المشير. Single-olhttps //dl.islamhouse.com
٤-أهداف ومقاصد سورة لقمان: د. محمد الخضيري، موقع زاد https:llwwwzaaquran.om
٥-البحر المحيط: لمحمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، (ط١) ١٤١٣-١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، ببيروت-لبنان.
٦- تأملات في سورة لقمان: مقال للدكتور: عبدالحي الفرماوي http://thelibyanmohoob.montadarabi.com/t١٢٧-topi
٧- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهرين عاشور (ط،ت بدون) دار اسطون للنشر والتوزيع، تونس-الجمهورية التونسية.
٨- التربية والإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم، مقال بعنوان "سورة لقمان أنموذجاً" جعفر عثمان.
٩- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:(ت:٩٥)هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.
١٠-تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، (ط٣) ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١١-تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيحه ورقّمَه، وخرّج آياته وأحاديثه، وعلق عليه: محمد فواد عبدالباقي (ط٢)١٣٩٨هـ-١٩٨٧م، دار الفكر-بيروت.
١٢-تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تأويل القرآن": لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ط١) ،١٤١٢ هـ-١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
١٣-تفسير القرآن العظيم: المسمى بتفسير ابن كثير، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، (ط١)١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مكتبة النور العلمية-بيروت.
١٤-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لوهبة الزحيلي، (ط١)١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الفكر، دمشق - سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان.
١٥-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: المعروف ب(تفسير السعدي)، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، (ط٢)١٤١٤هـ-٩٩٣م، عالم الكتب بيروت.
١٦- الدرر المنثورة في التفسير المأثور: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ط: بدون) ١٤٠٤هـ-١٩٩٣م، دار الفكر بيروت-لبنان.
١٧-دروس تربوية من خلال وصايا لقمان الحكيم: د/علي محى الدين العزة داغي، مقال بجريدة الشرق الأوسط السبت ١رجب، ١٤٢٤هـ-٣أغطس٢٠٠٣م العدد٩٠٤١. ahchive.aawsat.com
١٨-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت- لبنان.
١٩-سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعب الخراساني النسائي، (ت ٢٠٣هـ) ضبطه وصححه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : عبدالوارث محمد علي (ط١) ١٣١٦هـ-١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان
٢٠-صحيح سنن أبي داود: لمحمد ناصر الدين الألباني، (ط١) ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.
٢١-صحيح مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)(ط١)١٣١٦هـ -١٩٩٥م،دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت-لبنان.
٢٢-الفائق في غريب الحديث: جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: محمد البجاوي، (ط١)١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، المكتبة العصرية-بيروت.
٢٣-فتح القدير الجامع بين فن الرواية و الدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني، وثق أصوله وعلّق عليه: سعد اللحام، (ط،ت بدون) المكتبة التجارية، مصطفى الباز- مكة.
٢٤-القاموس المحيط: لمجد الدين الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق: محمد البقاعي،١٤١٥هـ-١٩٩٥م،دار الفكر-بيروت.
٢٥-قواعد تربوية قرآنية من سورة لقمان: د. أحمد محمد أبو عوض، موقع منهل الثقافة التربوية.
٢٦-الكُليَّات مُعجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفَوي، ت١٠٩٤هـ-١٦٨٣م، قابله على نسخة خطية واعده للطبع ووضع فهارسه د:عَدنان دَرويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة،(ط٢)١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٧-المصباح المنير، أحمد محمد علي الفيومي:(ط٢)١٤١٨هـ-١٩٩٩٧م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت-صيدا.

٢٨-المعجم الوسيط: أبراهيم أنيس وآخرون (ط٢) المكتبة التجارية، مصطفي أحمد باز-مكة.
٢٩- معجم التعريفات: لعلي بن محم السيد الشريف الجرجاني، قاموس المصطلحات وتعريفات على الفقه، واللغة الفلسفة والمنطق والتصوف، والنحو والصرف، والعرض والبلاغة، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة-مصر.
٣٠-الملامح التربوية في مواعظ لقمان الحكيم: لزهير عبدالرحمن الأتاسي. مجموعة مواقع مداد. www.miDAD.com
٣١-النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق: خليل مأمون شيحا. (ط) ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
٣٢-الوسيط في تفسير القرآن المجيد: للأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، قدّمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، (ط١) ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٣٣-وصايا لقمان التربوية: مقال: محمد سلامه الغنيمي، موقع طريق الإسلام.
٣٤- وصايا لقمان والتنمية البشرية الحقيقة التي يحتاج إليها اليوم كل إنسان: نور عالم خليل الأميني، مجلة الداعيُ الشهرية الصادر على دار العلوم ديوبند، جمادى الأولى١٤٣٩هـ-نيايرـفبراير٢٠١٨م العدد (٥) السنة: (٤٢)